



ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: <https://lark.uowasit.edu.iq>



*Corresponding author:

Asst. Prof. Alaa Abd Naeem (PhD)

University: Wasit University

College: College of Arts

Email:

aalzurqany@uowasit.edu.iq

Keywords:

pragmatic dimension,
qur'anic script, addition,
deletion, opposite,
glottalization

ARTICLE INFO

Article history:

Received 30 Apr. 2022

Accepted 31 May 2022

Available online 1 July 2022

The Pragmatic Dimension of Qur'anic Scripts

A B S T R U C T

Qur'anic scripts are characterized by their unique methodology in writing which is different from Orthographic ones, a widely known form in Arabic. Many phrases in the Holy Qur'an differ in their written form from their counterparts in other verses; as a result, this difference might draw the reader's attention since it does not come haphazardly. On the contrary, such phrases have been used carrying sublime meanings intended by the Almighty Allah.

The current study touches upon the pragmatic dimensions performed by the Qur'anic scripts for such phrases and explicates what these phrases can provide us with illocutionary meaning which differs from one morphological structure to another via studying selected samples representing the aspects of divergence between this script and the standard orthographic one. These aspects are: addition, deletion, opposite, glottalization, etc.

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/>

البُعد التداولي للرسم القرآني

أ.د. آلاء عبد نعيم الزركاني / جامعة واسط/ كلية الآداب
الخلاصة:

انماز الرسم القرآني بكونه ذا منهج في الكتابة يختلف عن الرسم الاملائي المعروف في اللغة العربية ، إذ جاءت ألفاظ كثيرة في القرآن الكريم تختلف في رسمها عن نظائرها في آيات أخرى ، وهذا الاختلاف من شأنه أن يثير انتباه القارئ؛ لأنه لم يأت اعتباطاً ، وإنما جاء لمعانٍ شريفة أَرادها الله تعالى . وفي هذه الدراسة سنتناول دراسة الأبعاد التداولية التي يؤديها الرسم القرآني لهذه الألفاظ ، ومعرفة ما يمكن أن يعطيه من محتوى قضوي مختلف من بنية صرفية إلى أخرى، عن طريق دراسة نماذج مختارة تمثل أوجه اختلاف هذا الرسم عن الرسم الاملائي القياسي وهي: الزيادة ، والحذف ، والبدل ، والهمز ، وغيرها.

كلمات مفتاحية : البعد التداولي، الرسم القرآني، الزيادة، الحذف ، البدل ، الهمز. محمد واله

المقدمة :

نزل القرآن الكريم على نبينا الأعظم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بلسان عربي مبين ، وأمر الرسول الصَّحابة بحفظه وتدوينه، فأخذ كَتَبَهُ الوحي يدونون ما ينزل به الوحي جبريل (عليه السلام) على الرسول، وكان صلوات الله وسلامه عليه يدقق على هؤلاء الكتبة، ويراجع معهم ما كتبوه ، وفي ذلك يقول زيد بن ثابت ، وهو أحد كتبة الوحي: " كنت أكتب الوحي عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

، وهو يُملي عليّ ، فإذا فرغْتُ ، قال: أقرأه ، فأقرؤه ، فإن كان فيه سقطُ أقامه ، ثم أخرجُ به إلى الناس " . (الطبراني: 142 /5) . وهذا يدلّ على أنّ القرآن الكريم الذي بين أيدينا كُتِبَ منذ زمن الرسول (ص) بهذا الرسم المعروف عندنا اليوم بـ (رسم المصحف) ، وصار رسم المصحف سُنَّةً مُتَّبَعَةً يجب المحافظة عليها والتمسك بها . (ينظر : ابن عاشور: 9 / 7) . غير أنّنا نلاحظ أنّ بعض الكلمات جاء رسمها في القرآن الكريم مخالفاً لما عليه نظائرها في القرآن نفسه، أو في اللغة العربية، فأتارت هذه المسألة أذهان العلماء للبحث في الأسباب ، الأمر الذي أدّى إلى ظهور المؤلفات الكثيرة التي تتكلم عن رسم المصحف وتبيّن قواعد كتابته ، قال ابن درستويه: " ووجدنا كتاب الله عزّ وجلّ لا يُفاس هجاؤه ، ولا يُخالف خطّه ، ولكنّه يُتَلَقَى بالقبول على ما أودع المصحف " . (ابن درستويه : 16 ، وينظر: الحمد: 103) .

إنّ الرّسم الخاص الذي جاءت عليه بعض الكلمات في القرآن الكريم في مواضع خاصة، نرى أنّ له أبعاده التداولية ، لاسيما وأنّ اختلاف الرسم يعطي لسياق النصّ القرآنيّ بعداً تداولياً مغايراً يتناسب مع تغيّر الرّسم القرآنيّ ، فهذه المفارقة في الرّسم لم تكن اعتباطاً ، وإنّما هي إشارة إلى معانٍ أرادها الله تتطلب التمعن والتفكر فيها للوصول إلى كنهها وغاياتها التي أرادها الله ، ولا يمكن التنبّه لها فيما لو جاء الرسم مشابه لما هو معروف في العربية . وفي هذا المعنى يرى ابن المبارك إنّ رسم القرآن سرّاً من أسرار الله، وهو صادرٌ من النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إذ قال في كتابه (الإبريز): "وما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على هذه الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول ... وهو سرٌّ من أسرارهِ خَصَّ اللهُ تعالى به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شبه ذلك الرسم لا في التوراة ، ولا في الانجيل ، ولا في غيرهما من الكتب السماوية ، وكما أنّ نظم القرآن معجز ، فرسمه أيضاً معجز ... وكل ذلك لأسرار إلهية ... فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة في أوائل السور ، فلها أسرار عظيمة ومعانٍ كثيرة ... وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ... فكذا أمر الرسم الذي في القرآن " . (ابن المبارك : 87 - 89) .

إنّ هذه الاختلافات التي ظهرت في الرسم القرآنيّ جمعها العلماء في خمسة أنواع ، وفي ذلك يقول ابن وثيق الاندلسي: "اعلم وفكك الله أنّ رسم المصحف يفتقر أولاً إلى معرفة خمسة فصول عليها مدارة:

الأول: ما وقع فيه من الحذف.

الثاني: ما وقع فيه من الزيادة.

الثالث: ما وقع فيه من قلب حرف إلى حرف.

الرابع: أحكام الهمزات.

الخامس: ما وقع فيه من القطع والوصل." (الجامع: 31 – 32 ، وينظر: الحمد: 103) .

وممّن فصل القول في هذه الأنواع وأحصى الآيات التي وردت في القرآن الكريم ويندرج رسمها القرآني تحت هذه الأنواع الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه (الميسر في علم رسم المصحف وضبطه) غير انه لم يبحث في الابعاد التداولية التي أداها اختلاف الرسم القرآني لهذه الآيات، وإنما درسها دراسة احصائية تصنيفية لغاية تعليمية ، غير أننا سنحاول في هذه الصفحات تبيان البعد التداولي للرسم القرآني ، والأسرار التي تقف وراء ورود هذه الكلمات بهذا الرسم القرآني الخاص وعلى النحو الآتي:

1- زيادة الألف وحذفها:

كثيراً ما تستميلنا مقولة اللغويين العرب " زيادة المبنى في اللغة تفيد زيادة المعنى" وإذا ما وقفنا على تلك المباني التي ذكرت في القرآن الكريم واختلفت بعضها عن بعض في المبنى ؛ أي في الرّسم القرآنيّ للوحظ أنّ مجيء هذه الزيادة في ذلك المبنى بلحاظ السّياق النّصّيّ إنّما كان لمعنى مقصود ؛ إذ إنّ ثمة علاقة بين المبنى والسّياق الذي ورد فيه، وهو من المحاور الاساس في اللسانيات التّداوليّة ؛ فالبنية " تعتمد اعتماداً تاماً على السّياق الذي تستخدم فيه ولا يستطاع انتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه " . (نحلة ، 15) . فمعطيات السّياق تمهد لتحقيق محتوى قضوي على مستوى السّياق الخطابي للنّص؛ ذلك أنّ استراتيجية الخطاب تتبلور في المستوى الصّرفيّ تداولياً فـ " قد تتحقق بلورة الاستراتيجية من خلال تفعيل بعض الصيغ الصرفية" (الشهري : 70) . ففي إخبار الخالق (عزّ وجلّ) لنا عن خلق السماء

بقوله: " فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۗ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ". (فصلت: ١٢) إذ جاء الملفوظ القولي (السموات) في هذه الآية بألف صريحة بعد الواو، وقد انفردت سورة فصلت بهذا الرسم القرآني الذي جاء 189 مرة من دون هذه الألف، منه قوله تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ". (البقرة: 164) وقوله: " وَبَلَّغَ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (إبراهيم: 77) وغيرها من الآيات.

وإذا ما تمعنا في هذه الآية وما قبلها من الآيات التي تجلت فيها أهم النظريات التداولية المتمثلة بنظرية الفعل الكلامي، لوجدنا أن الإخباريات أهم محور دارت عليه هذه الآيات، إذ أخبر الله تعالى فيها عن خلق السموات والأرض، فنلاحظ فيه " إشارة إلى إيجاده الإبداعي والفراغ منه" (الطيبي ، 249) فقال : " قُلْ أُنَبِّئُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ". (فصلت : 9—12) فخلق السموات والأرض بهذا البناء الهندسي الدقيق يحفز الإنسان على التأمل والتفكير في خلق الله وصنعه، فكان مجيء الألف في الملفوظ القولي (السموات) بهذا الرسم القرآني ليتوافق ويتناغم مع لفت انتباه خلقه الى صنعه العظيم، فظهور الألف في هذه اللفظة في هذه الآية دون غيرها يوحي بشيء من التفصيل للافعال الإخبارية التي تضمنتها الآية، فهي تفصيل لخلق الله الكون بأرضه وما تحويها، وسمواته وما تحويها، وتقدير الأرزاق للعباد، وهذا يستلزم أن يكون في هذه الآيات ما يثير ذهن الإنسان ويدفعه الى التفكير في كل هذا، فكان ظهور الألف في لفظة (السموات)، وغيابه عن لفظة (السموات) التي وردت في 189 مرة رمزاً إشارياً الى الانسان، لأن ينبت ويتفكر في هذه المفارقة ؛ فالبعد التداولي للرسم القرآني المتمثل بظهور الألف في هذه اللفظة تجلى بتفصيل الأفعال الإخبارية المتعددة في هذه الآية مع سابقتها؛ إذ جاء الفعل الإخباري على نوعين :

الأول : الإخبار عن الخلق بمدة زمنية محددة وهذا ما تجلى في الفعل الكلامي الإخباري (خلق) المسبوق بالاستفهام الإنكاري والمقيد بالمدة الزمنية في قوله تعالى: " أَلَيْسَ لَكُم مَّا تُكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ".

أما الثاني : فكان الإخبار فيه غير مقيد بزمن محدد، فهو مطلق مثله الفعل الكلامي (زينا)، وهذا يتواءم مع الأبدية المطلقة لله عز وجل لا سيما وأن الخطاب الإخباري انتقل من ضمير الغيبة (قضاها) و(سواها) الى ضمير المتكلم (زينا) للتعظيم والاهتمام وقد بين الزركشي هذا بقوله: " أحدهما وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام المذكورة ، وهو خلق الأرض في يومين ، وجعل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها ، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام ، ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء، وأنه أكملها سبعا في يومين ، فأتى في هذا النوع بضمير الغائب ، عطفاً على أول الكلام في قوله: (قل أنكم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي . . .) إلى قوله: (فقضاها سبع سموات . . .) الآية.

والثاني : قصد به الإخبار مطلقاً، من غير قصد مدة خلقه ، وهو تزيين السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلها حفظاً ، فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك ، بخلاف ما قبله، فإن النوع الأول يتضمن إيجادا لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة، وذلك من أعظم آثار قدرته . وأما تزيين السماء الدنيا بالمصابيح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم ، فالتفت من الغيبة إلى التكلم ، فقال : (زينا) .

زيادة المبنى في (السموات) المتمثل بزيادة الألف كان منسجماً و معبراً عن تلك المعاني الكثيرة التي اخبرت بها هذه الآيات، فأضافت هذه الزيادة على الملفوظ القولي بعداً تداولياً لم تكن نحصل عليه لو وردت هذه اللفظة بغير الرسم الذي وردت عليه .

2 - ثبوت الباء وحذفها:

وقد يأخذ الرسم القرآني منحى آخر في بعده التداولي المتمثل بالأفعال الحسية والمعنوية التي يوحىها إثبات المصوت في اللفظة أو حذفه منها، وهذا ما نلمسه في النص القرآني من قوله تعالى: " فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ". (الانعام : 77). وقوله تعالى: " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادَّكُرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ

يَهْدِين رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا". (الكهف 23-24). فالرسم القرآني المختلف بين اللفظتين (يهديني) بثبوت الياء، و(يهديني) بحذف الياء ، يظهر بعده التداولي بلحاظ السياق الخطابي القائم على توظيف فعل الحواس (راء) الذي جاء هو الآخر برسم قرآني مغاير للرسم القرآني (رأى) في الآيات الأخرى .

فتبوت الياء في الملفوظ القولي (لم يَهْدِينِي) يجعل منه بؤرة تداولية تعطي لسياق النص محتوى قضوياً يحمل معنى الثبات بتضافر هذا الرسم القرآني مع رسم الفعل الحسي (رءا) بهذه الصورة للدلالة على أنّ الرؤيا هنا رؤية بصرية والرؤيا البصرية تلهم الانسان التمييز بين الأشياء، فيلهمه هذا إمكانية نفسية، وهذا ما حصل مع النبي إبراهيم(ع) فرويته جعلته يميز ربه الذي لا يمكن أن يتصف بالأفول؛ لذلك كان قوله: هذا ربي على وجه الإنكار والاستخبار ، قال الإمام الرضا (عليه السلام): " إنَّ إبراهيم (عليه السلام) وقع في ثلاثة أصناف : صنّف يعبد الزهرة ، وصنّف يعبد القمر ، وصنّف يعبد الشمس ، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفي فيه ، فلما جنَّ عليه الليل ورأى الزهرة، قال : هذا رَبِّي . على الإنكار والاستخبار ، فلما أفل الكوكب قال : لا أحب الأفلين . لأنَّ الأفول من صفات المحدث لا من صفات القديم ، فلما رأى القمر بازغاً، قال: هذا ربي . على الإنكار والاستخبار، فلما أفل، قال: لنن لم يهديني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين . فلما أصبح ورأى الشمس بازغة، قال: هذا ربي، هذا أكبر من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار ، لا على الإخبار والإقرار ، فلما أفلت، قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: يا قوم إتّي برئ مما تشركون، إتّي وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، وإنّما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أنّ العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس ، وإنّما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض " (البحراني : 24/1).

إن بتضافر الرّسم القرآني لكلا اللفظتين (رءا)، و(لم يهديني) بثبوت الياء، قد أدى بعدا تداولياً واضحاً، إذ أضفى على النصّ القرآني محتوى الثبات ؛ أي اثبات العبادة للإله الذي لا يغيب ؛ لذلك كان الغرض الإنجازي للملفوظ القولي الذي قال به إبراهيم (ع) : هذا رَبِّي ، القائم على فعل الرؤيا البصرية التي أوحى بها رسم اللفظة (رءا) هو الإنكار والاستخبار، لا الإخبار والإقرار بعبادة الآلهة التي كانوا عليها.

أمّا الرّسم الإملائي للفظه (يَهْدِين) بحذف الياء فقد أسهم هو الآخر بإضفاء محتوى قضوي على النصّ القرآني ؛ فالنبي محمّد(ص) هو الهادي البشير فالهداية ملازمة له مستمرة معه ، فجاء حذف الياء مناسباً للمدة الزمنية التي طلبها مشركي مكة (فـ غداً) ملفوظ قولي إشاري ، أشار إلى زمن ليس بالبعيد ، فالإشارات الزمانية إنّما هي " كلمات...لا يتضح معناها إلا بالإشارة إلى زمان بعينه بالقياس إلى زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية " . (نحلة : 20). فحذف الياء من (يهديني) جاء مناسباً للمدة الزمنية التي طلبها الرسول (ص) للإجابة عن سؤال المشركين ومن ثم يكون الفعل الكلامي المعنوي (يهديني) قد ساهم في إضفاء محتوى قضوي على سياق النص دلّ على القرب من الرّشاد والخير والمنفعة ، أو لما هو أظهر دلالة على أنّه نبي. (الكاشاني : 317/2).

فضلاً عن أنّ حذف الياء جعل الفعل الكلامي المعنوي (يهديني) ملاصقاً للفظه (رَبِّي) بلا فاصل، وهذا يعطي النص بعداً تداولياً آخر يتجلى بأنّ الهداية ملاصقة للرسول غير مفارقة له لا سيما وأنّه الهادي البشير، ولعل مجيء المكون اللفظي (لشيء) بهذا الرّسم (لشيء) في هذه الآية تحديداً، مقارنة بمجيبه بالرّسم القياسي (شيء) 251 مرة في القرآن الكريم ، إنّما هو إشارة إلى أمر معنوي أيضاً وبذلك يتضافر الرسمان (لشيء) و (يهديني) في إكمال المحتوى القضوي للنص القرآني لا سيما وأنّ (الشيء) في هذه الآية معدوم من جهة الوجود فهو معنوي أيضاً . قال الزركشي : " الشيء هنا معدوم وإنّما علمناه من تصور مثله الذي قد وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه من حيث أنّه يقدر أنّه يكون مثله في الوجود فزبدت الألف تنبيها على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود إذ هو موجود في الازهان معدوم في الأعيان وهذا بخلاف قوله في النحل: (إنّما قولنا لشيءٍ إذا أردناه). فإنّ الشّيء هنا من جهة قول الله لا يعلم كيف ذلك بل نؤمن به تسليماً لله سبحانه فيه، فإنّه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها، ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا فلا تشبيه ولا تعطيل " . (الزركشي : 1/325).

ولما كانت " لحظة التَّفَظ هي المرجع، لهذا يجب أن نربط الزَّمن بالفعل ربطاً قوياً في مرحلة أولى ، ونربط كذلك بين الزَّمن والفاعل ؛ لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية ". (الشهري: 83). وإذا كان الحذف في الآية السَّابقة قد تلائم مع المدة الزمنية القصيرة فإنَّ عدم حذف الياء في الفعل الكلامي (فكيديوني) من قوله تعالى: " إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ ءَآيَاتِنَا بِسُوءٍ قَالِ إِنَّيَ أَشْهَدُ اللهُ وَأَشْهَدُونَ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ". (هود : 54 – 55) يتواءم مع الفعل الإنجازي الذي يتطلبه الفعل الكلامي ؛ ذلك أنَّ في بقاء الياء انضماماً مع سياق التَّحدي المتسم بجدال قومه معه ومحاجاجته لهم فذكر الياء أنسب للسياق من ذكر الكسرة ؛ لأنَّ " الياء أطول من الكسرة ... فناسب بين طول الكلمة والسيِّاق فجعل الكلمة الطويلة (ثبوت الياء) للسياق الطويل" (المراكشي: 92) كونه سباقاً فصلَّ في ذكر حال قوم هود مع نبيهم فهو سياق قائم على الحجاج " قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَآيَاتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ ءَآيَاتِنَا بِسُوءٍ قَالِ إِنَّيَ أَشْهَدُ اللهُ وَأَشْهَدُونَ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ * إِنَّيَ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (هود : 53 – 55) فـ " المقام ... مقام تحدي كبير ومواجهة، فأظهر نفسه زيادة في التحدي ؛ إذ المتحدي وطالب المواجهة لا بدَّ أن يظهر نفسه ". (السامرائي: 80).

لذلك خاطب النبي هود (ع) قومه مجيباً لهم بالفعل الكلامي (فكيديوني) الذي يستدعي حصول فعل انجازي ينماز هو الآخر بسرعة حصول الكيد لا سيما وأنَّ هذا الفعل قد سبق بسابق تمثّل بـ (فاء) التعقيب وهو مقيد لحق بنية الفعل ؛ فهو عامل مساند للفعل الكلامي إذ عمل على " إظهار حاجية المفوظ وذلك بتقوية التَّوجيه " (الناجح : 17). فالعامل المقيد (الفاء) جعل الفعل الكلامي المنطوق (فكيديوني) يطلب فعلاً انجازياً سريع الحصول من غير تراخ ؛ وهنا تُستشف المدة الزمنية بأنَّها قصيرة بفعل (الفاء) فـ " من أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية ... وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً يلزم المرسل أن يدرك لحظة التَّفَظ ، فيتخذها مرجعاً يحيل عليه ويؤول مكونات التَّفَظ اللغوية بناءً على معرفتها " (الشهري : 83) ولعلَّ هذه السُّرعة الانجازية للفعل إنَّما تطلبها السيِّاق النَّصي لآية. لذلك بدا تحقيق الفعل الانجازي المبني على الفعل القولي (فكيديوني) صعب الحصول؛ لأنَّ الفعل القولي الصادر من النبي هود (عليه السلام) (فكيديوني) صعب الحصول، وهو محال، إذ فيه تحدي؛ لأنه مهما احتالوا واجتهدوا في مكرهم معه لا يستطيعون الحاق الأذى به، وهذه من أعظم آيات الرُّسل، أن يكون الرسول وحده وأتمه متعاونة عليه، فيقول لها: (كيديوني ولا تُنظرون) فلا يستطيع أحد منهم ضره. (ينظر: الزجاج: 58 / 3).

3 - ابدال الألف:

إنَّ ابدال الذي يحدث في الرسم القرآني يمكن أن يؤدي وظيفة تداولية متمثلة بالفعل الكلامي الحسي أو المعنوي؛ فالألف في (طغي) تعطي بعداً تداولياً غير الألف التي في (طغا) فالأولى التي بالألف المقصورة تدلُّ على الطغيان المعنوي، أمَّا الثانية التي بالألف الممدودة فتدلُّ على الطغيان الحسي ، ومصادق هذا، السيِّاق الذي ورد فيه كلا اللفظين . قال تعالى: " أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى " (طه: 24) . وقال عزَّ وجلَّ: " إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ " (الحاقة : 11) فالفعل الكلامي الدال على الطغيان جاء في كلا الآيتين برسم مغاير عن الآخر، ولا شك في أنَّ لهذا الرُّسم المغاير أبعاده التي يضيفها في العملية النَّواصلية التي تقوم على مبدأ الاستلزام الحواري الذي يركز على سياق الحال وقصدية المتكلم فالدرس النَّدائلي لا يبعد الأفعال الكلامية عن سياقها الكلامي والحالي ، أو يجعلها معزولة عن غرض المتكلم ، وإنَّما يدرس إنجازية تلك الأفعال في ظل السيِّاق عبر الاستعمال اللُّغوي . (مفتاح : 138)

فالخطاب في الآية الأولى استدعى الرُّسم بالألف المقصورة (طغي)؛ لأنَّ الطغيان هنا معنوي يعكسه السلوك الشَّخصي وإذا ما لحظنا سياق الحال المتمثّل بطغيان فرعون وتجاوزه في الاستعلاء والتمرد والفساد لوجدنا تضامراً بينه وبين رسم الألف بهذه الصورة (ي) الذي يوحي إلى أنَّ الطغيان هو طغيان مفتوح لا يحده شيء فجاء الرُّسم القرآني موافقاً للسياق الذي أخبر عن طغيان فرعون بهذا الفعل الكلامي (طغي).

أمَّا الخطاب في الآية الثانية فقد استدعى الرُّسم بالألف الطويلة (طغا)؛ لأنَّ الطغيان هنا مادي محسوس تمثّل في طغيان الماء وارتفاعه عن الأرض حتى تجاوز الحد والمناسيب المعهودة له، فسُمِّي هذا التَّجاوز طغياناً، أمَّا الوظيفة النَّدائوية للرسم القرآني الذي جاء به الألف

بهذه الصورة (١) فتشير إلى أن هذا الطغيان إنما هو باتجاه واحد نحو الأعلى إذ إن الماء كان عالياً جداً حتى غطى الجبال بدليل قوله تعالى في خطاب نوح (عليه السلام) : " وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ " (هود 24- 43) فجاء الفعل الكلامي (طغا) بالألف الطويلة الممتدة إلى الأعلى منسجماً مع سياق الحال وارتفاع الماء إلى الأعلى وهنا يتجلى الإعجاز القرآني ، ومن ثم فإن البعد التداولي لسباق الحال الذي ورد فيه هذا الفعل الكلامي يتضح من جهتين: "جهة اصدار الخطاب وهو أمر متعلق بالمتكلم ، وجهة تفسير الكلام وهو أمر متعلق بالمخاطب " (صحراوي: 53).

وقد يتصافر الفعل الكلامي الحسي أو المعنوي مع الإشارات المكانية لإعطاء النص القرآني محتوىً قضيوباً مغايراً بمغايرة الرسم القرآني في الملفوظ الإشاري (لدى) الذي جاء بالألف الممدودة (لدا) في قوله تعالى : " وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " . (يوسف :25) فالملفوظ القولي (لدا الباب) وبفعل الرسم القرآن حظى بسمة الفعل الكلامي الحسي في حين أن في قوله تعالى : " وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ أَلْقَوْا لَدَى الْحَنَاجِرِ كُطْمِينًا مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ " (غافر:18) نلاحظ أن الملفوظ القولي (لدى الحناجر) حظى بسمة الفعل القولي المعنوي ؛ ذلك أن (لدا الباب) فيه إشارة مكانية ؛ أي:(عند الباب) فكأن هذه الألف الممدودة تناسبت مع المسافة المكانية الحقيقية بوجود سيدها عند الباب حقيقةً ، أمّا (لدى الحناجر) بالألف المقصورة ففيه أيضاً إشارة مكانية ولكنها معنوية، ففيها تعبير مجازي الغاية منه الإشارة إلى شدة الخوف الذي ينتاب الإنسان في ذلك اليوم لدرجة أن القلوب ترتفع من مكانها لتصل إلى الحناجر ، وهذا ما فسره صاحب الميزان بقوله : " (لدى الحناجر) كناية عن غاية الخوف كأنها تزول عن مقرها وتبلغ الحناجر من شدة الخوف " (الطباطبائي: 319/17) والفرع ؛ لأن " الفرع ينتفخ منه سحره أي رنته فيرتفع القلب من مكانه ؛ لشدة انتفاخه حتى يبلغ الحنجرة " (الطوسي:64/9 ، وينظر : الطبرسي :432/8).

4 - زيادة الياء:

إن الرسم القرآني يسهم في بلورة الملفوظ القولي ليعبر عن فعلٍ غير مباشر يأخذ استراتيجيته التداولية من السياق النصي للخطاب، الذي يدخل في إطار متضمنات القول التي هي: " مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب ... ومن أهمها : الإفتراض المسبق ... و الأقوال المضمرة " (صحراوي: 30 — 32).

ففي قوله تعالى : " وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ " (الذاريات :47) كتبت لفظة (بأيدٍ) بياءين في حين في مواضع أخرى كتبت بياء واحدة نحو قوله تعالى : " اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ " (ص:17). فالبعد التداولي لهذه المغايرة في الرسم القرآني بدا واضحاً في المكون اللفظي (اليد) فباللجوء إلى المعطيات والافتراضات المسبقة القائمة في ذهن المخاطب يتبين أن معنى هذا المكون هو(اليد الجارحة) بيداً أن دخول هذا المكون ضمن ملفوظٍ قولِيٍ بسياقين مختلفين لا بد أن يعطي مضموناً مختلفاً .

فلفظ (بأيدٍ) الذي زيدت فيه الياء لتوحي بالمفارقة بين اللفظ الصريح لـ (الأيدي) في سورة (ص) الذي هو جمع (يد)، وبين اللفظ غير الصريح لـ (الأيدي) في سورة (الذاريات) التي تشير إلى القوة. وهذه المفارقة إنما أوحيت بها تلك الزيادة في بنية الكلمة لتشير إلى محتوى قضوي مفاده أن ثمة مفارقة بين قوة الله (عز وجل) وبين قوة الإنسان. فـ " اليد لم تستعمل في معناها المنصرف وإنما استعملت في غيره إما مجازاً أو حقيقة " (الشاكري : 329/8).

5 - التاء المفتوحة والمغلقة:

لعل في رسم التاء المغلقة (القصيرة) تاءً مفتوحة في مواضع في القرآن الكريم أبعداً خفية وأسراً لا يعرفونها . ونحن نحاول أن نفق على بعض تلك الأبعاد التي نراها فيها والتي أداها هذا الرسم القرآني ، وإن كان الوقوف عليها سرّاً من أسرار الله كما هو في الحروف المقطعة في بدايات السور ، فنحن نرى أن الأبعاد التداولية التي تقف وراء رسم التاء بصورة مفتوحة في سور متعددة تكمن خلفها أغراضاً ضمنية ، إذ قد يسلك الخطاب طريق التصريح ، أو طريق التضمين ، ولكي تحقق العملية التواصلية غايتها المرجوة من التخطاب بين أطرافها فلا بد من "امتلاك أطراف المحاور لما يسمى بالكفاية التواصلية ... التي تساعد ... على تأويل الملفوظات" (بدوح : 3). فلفظة (

امرأة) جاءت في مواضع في القرآن الكريم برسم املائي مغاير وهو (امرأت) بالثاء المفتوحة ولا شك في أن لكل رسم محتوى مغايراً للأخر ، فالسياق الذي ورد فيه رسم (امرأت) بالثاء المفتوحة كان جميعه يشير إلى امرأة معروفة ؛ إذ كونت هذه اللفظة باقترانها مع ما بعدها ملفوظاً لغوياً معلوماً غير مجهول فـ " امرأتُ عَمْرَانُ " (آل عمران :35) و " امرأتُ العَزِيزِ " (يوسف :30) و " امرأتُ فِرْعَوْنَ " (القصص:9) و " امرأتُ نُوحٍ وَاَمْرَأَتُ لُوطٍ " (التحريم :10) كلها ملفوظات لغوية صريحة بدليل اقترانها باضافة لفظه (امرأة) إلى زوجها ؛ فالمرأة في كل حال لا بد أن تُعرف بمن هو ولي أمرها، ويبدو أن هذا التصريح وعدم الغموض جاء منسجماً مع رسم التاء بالصورة المفتوحة الذي يوحي بأن الحكمة الإلهية تقتضي استمرارية الحياة والانفتاح عليها بالزواج والاقتران، فهي استمرارية لا تحصل إلا باقتران المرأة بالزوج وتكوين الأسرة ، لذا فهي استمرارية مفتوحة على الحياة ، لذلك جاء رسم امرأة بالثاء المفتوحة في المواضع التي تشير إلى المرأة المنسوبة إلى زوجها .

أما رسم المرأة بالثاء المربوطة (امرأة) فقد بدا واضحاً بمجيء هذه اللفظة بصورة النكرة لا المعرفة بل إن اللفظ كان مطلقاً غير مقيد ، وهذا يعني أنها امرأة مجهولة ، ولكن الجهل هنا قد يكون كلياً أو جزئياً فعدم الاقتران يلغي معرفتها ، فـ " إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً " (النساء:12) و " وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا " (النساء:128) و " إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ " (النمل : 23) و " وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ " (الأحزاب :50). جميعها جاءت بالثاء المربوطة التي أوحى برسمها المغلق الذي لا يعرف ما في داخله عن امرأة غير معروفة أو مجهولة ، ولكنه قد يكون جهلاً كلياً أو جزئياً، فهو كامن غير معروف كذلك لفظه المرأة التي ذكرت بهذا الرسم للثاء لم تكن معروفة.

فالبعد التداولي لورود المرأة بالثاء المفتوحة يتجلى في تلك المعطيات والافتراضات المسبقة لدى المتكلم فعند ذكر امرأة فرعون أو امرأة عمران فهي امرأة معروفة عند المتلقي ولكن عندما يقول : امرأة خافت ، أو امرأة مؤمنة، فهي امرأة مجهولة لم تعرف بل إن اللفظ شمل جنس النساء جميعاً وهنا يبرز دور الاستلزام الحواري في جانب الافتراض المسبق عند المتلقي والذي يعني " كل المعلومات غير المصرح بها، التي تحملها بنية الملفوظ التي تتواجد فيه بصفة جوهرية مهما تكن خصوصية الإطار التلظفي " (الحاج : 277).

ولعل ما يؤيد ما نذهب إليه ورود التاء بالرسم المفتوح للإشارة إلى الشيء المعروف لدى المتلقي في لفظة (فُرَّت) بالثاء المفتوحة في الآية نفسها التي ذكرت (امرأت) في قوله تعالى : " وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَادًّا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " (القصص:9). فورود الملفوظ القولي (فُرَّت أعين) أشار أيضاً إلى شيء معروف لدى المتلقي وهو النبي موسى (عليه السلام)، في حين جاء الملفوظ القولي (فُرَّة أعين) بالثاء المربوطة في قوله تعالى: " والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا فُرَّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً " (الفرقان : 74) فالملفوظ القولي (فُرَّة أعين) هنا لم يشير إلى شيء معروف ومحدد عند المتلقي وإنما أشار إلى شيء غير محدد وهو طلب الابناء من الله عز وجل سواء أكانوا ذكراً أم أنثاً.

يمكننا القول : إن الرسم بالثاء المفتوحة يمنح الملفوظ القولي التخصيص والتحديد، أما الرسم القرآني الوارد بالثاء المربوطة فيمنح الملفوظ القولي محتوى قضوياً عاماً غير محدد.

الخاتمة:

بعد دراستنا للبعد التداولي للرسم القرآني، اتضح لنا بعض الأمور التي يمكن اجمالها بالآتي:

1. إن الرسم القرآني هو توقيف من الرسول (ص) ؛ أمر الصحابة بأن يدونوا القرآن به ولا يمكن لهم مخالفته.
2. للرسم القرآني أسراره الخاصة التي لا يمكن الوقوف عليها ولا يعلم كنهها إلا الله وما يُقال فيها إنما هو تفسيرات وتأويلات وهي محاولات لتوضيح المؤدى الذي يذهب إليه كل رسم .
3. لاختلاف الرسم القرآني عن الرسم القياسي خمسة أنواع تمثلت بالحذف والزيادة والبدل والهمز والفصل والوصل.
4. للرسم القرآني الذي جاء في بعض الآيات أبعاده التداولية فهو يعطي لسياق النص بعداً مغايراً يتناسب مع تغيير الرسم القرآني .

5. إنَّ الزيادة في مبنى الكلمة يعبر عن معانٍ كثيرة لا يمكن الحصول عليها لو وردت الكلمة بغير الرّسم الذي جاءت عليه على نحو ما في لفظة (سموات) و (يهديني).
6. لا يمكن دراسة البنية بمعزل عن السّيق ؛ فمعطيات السّيق تعدّ محوراً أساساً في إيضاح البعد التّداولي لتلك البنية بالرّسم الذي جاءت عليه بلحاظ السّيق النّصي.
7. يمكننا القول: إنَّ النّظرية التّداوليّة يمكنها أن تتخذ من الرّسم القرآني ميداناً للبحث واستجلاء المعاني المؤداة بوساطة ما احتوته من أقسام من مثل الاستلزام الحواريّ، وأفعال الكلام، والإشارات، والافتراض المسبق التي وجدت لها مصاديق في الرّسم القرآني.
8. إنَّ المحتوى القضيّ لكلّ بنية في القرآن الكريم يختلف باختلاف الرّسم القرآني لها وهذا ما اتضح في الأفعال الكلاميّة الحسية والمعنوية التي يوحىها اثبات المصوت أو حذفه أو إبداله.

المصادر

1. القرآن الكريم
2. ابن درستويه، عبد الله بن جعفر، كتاب الكتاب، تحقيق: إبراهيم السامرائي و د. عبد الحسين الفتلي، الكويت، 1397 هـ - 1977 م.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1868 م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
4. ابن المبارك، أحمد بن مبارك السجلماسي (ت 1156 هـ)، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423 هـ - 2002 م.
5. ابن وثيق، إبراهيم بن محمد الأشبيلي، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، 1429 هـ - 2009 م.
6. البحراني؛ السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، قم، (د.ت).
7. بدوح؛ حسن، المحاورّة مقاربية تداولية، الأردن، ط1، 2012م.
8. الحاج، ذهبية حمو، التّداولية واستراتيجية التّواصل، ط1، دار رؤية، 2015.
9. الحمد، غانم قدوري الحمد، المُيسّر في علم رسم المصحف وضبطه، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 1433 هـ - 2012م.
10. الزجاج، أبو اسحاق إبراهيم بن السّري، معاني القرآن واعرابه، ط1، عالم الكتب، 1988 م.
11. الزركشي، البرهان، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، 1988م
12. السّامرائي، فاضل صالح، التّعبير القرآني، ط5، عمان، الأردن، 1988م.
13. الشّاكري، الحاج حسين، موسوعة المصطفى والعترة (ع)، ط1، 1417هـ.
14. الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربية لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، بيروت، لبنان، 2004م.
15. صحراوي: مسعود، التّداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005م.
16. الطّباطبائي، السّيد محمد حسين (1402هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (د.ت)
17. الطبراني، سليمان بن أحمد ()، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، مطبعة الزهراء، الموصل، 1984 م.
18. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين (548هـ) مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1995م

19. الطوسيّ ، أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي (460هـ)، التّبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب قصير ، ط1 ، مكتب الإعلام الإسلاميّ ، 1409هـ.
20. الطيبي ، شرف الدين الحسين بن عبد الله ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، تحقيق : أياد محمد العوجي ، ط1 ، دبي ، 2013م.
21. الكاشاني ؛ محمد بن مرتضى الفيض المعروف بالفيض الكاشاني الصافيني (1091هـ) ، تفسير القرآن ، تحقيق : حسين الأعلميّ ، 1416هـ .
22. المراكشي ، أبو العباس أحمد بن عثمان ، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل ، تحقيق : هند شلبي، دار الغرب الإسلامي ، 1989م.
23. مفتاح ، محمد ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ط4 ، المركز الثقافي العربيّ ، المغرب ، 2005م.
24. الناجح ، عز الدين ، العوامل الحجاجية في اللغة ، ط1، صفاقس ، 2011م.
25. نحلة ، محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية. 2002م .